بقلم العميد الركن المتقاعد ادونيس نعمة

الأول من أيلول 1920: لبنان الكبير يسترجع الجغرافيا

من المحفوظات النادرة في مكتبة والدنا المؤرخ جوزف نعمه، نسخة عن رسالة بعث بها رئيس الحكومة الفرنسية جورج كليمنصو، في اعقاب الحرب العالمية الاولى، الى غبطة البطريرك مار الياس الحويك حول استعدادات فرنسا لعمل كل ما يؤول الى تحقيق اماني الشعب اللبناني في التمتع بحكم ذاتي، وتوسيع رقعة "الجبل" ليشمل "السهل" الذي يقصد به سهل البقاع، الى جانب منافذ له على البحر، اي عدم حرمانه من مناطق ساحلية. وهو ما وصفه المسؤول الفرنسي الكبير بأنه يطابق ما تنهد اليه الجماعات التي يشغل البطريرك موقع الممثل الاعلى لها، اي رعاياه الموارنة.


يوم اعلان دولة لبنان الكبير في الاول من ايلول 1920. في الوسط الجنرال غورو يحوط به عن يمينه البطريرك الياس الحويك والى جانبه قومندان البحرية لو بون، وعن يسار الجنرال مفتي الجمهورية اللبنانية.


وفد لبنان الى مؤتمر الصلح، ويبدو جلوسا: انيس شحاده، شكري غانم، نعوم مكرزل، داود عمون. وقوفا من اليسار الى اليمين: اميل اده، ميشال تويني، الدكتور حريز، لويس برتو، عبد الحليم حجار.

يقول كليمنصو في رسالته، المؤرخة 10 تشرين الثاني 1919: "ان رغبة اللبنانيين في ان يتمتعوا بحكم ذاتي، ونظام وطني مستقل، يتفق تماما مع تقاليد الحرية التي عرفت بها فرنسا"، كما يعيد التذكير بما فعلته دولته في العام 1860 من اجل ان تؤمن للبنان مساحة واسعة من الاراضي، هذه المساحة التي عادت فضاقت بسبب ما لقيه لبنان من الجور والطغيان اللذين استبدا به على مدى زمن طويل. هكذا كانت نيات هذا الرجل العظيم تجاه لبنان، يقابلها من الجانب اللبناني رجل كان يجلس على سدة هي دينية من الناحية الفعلية، انما على الصعيد المعنوي كان يقتعد سدة وطنية لا تقل عن تلك اهمية من حيث ما كان له من مقام عند جميع الفئات اللبنانية، وما بذله في مؤتمر الصلح في فرساي حتى فاز للبنان بما عجز عن الفوز به الوفد السياسي الذي سبقه الى هذا المؤتمر.

لذلك لقب بـ"شيخ لبنان"، وكلل بـ"مجد لبنان الذي اعطي له"، ولم يقبل منّة الكرسي الرسولي عليه بمنحه رتبة الكاردينالية ليكون اول مَن يرقى اليها من بين جميع بطاركة الطوائف الشرقية، وذلك لأن هذه الرتبة تخول البابا ان ينقله الى اية وظيفة من وظائف الكرادلة التي هي كلها خارج لبنان.

ونحن واثقون من ان الجالس اليوم على كرسي بكركي قادر، بوطنيته ورجولته، على لعب هذا الدور الذي لعبه البطريرك الحويك. بقي ان يكون في فرنسا، وفي كل دولة من الدول العظمى، مَن يتمتع بالروح التي كان يتمتع بها كليمنصو من حيث الرغبة في احقاق الحق، والعدالة في معاملة الدول الصغيرة ومساعدتها على تحقيق امانيها، فهل ينبت لنا مثيل له؟


مؤلف النشيد الوطني رشيد نخله.

رئيس فرنسا ريمون بوانكاريه.

الوفود اللبنانية الى مؤتمر الصلح

افتتح مؤتمر الصلح في قصر فرساي في 18 كانون الثاني 1919 وحضره مندوبو ثلاثين دولة ليقرروا ولادة عالم جديد يسوده الصلح والسلام. ونوّه الكثير من المؤرخين بالنشاط والصبر والشجاعة التي تحلى بها رجال الوفود الثلاثة المتتابعة التي ارسلها لبنان الى هذا المؤتمر لتقرير مصيره:

- الوفد الاول: برئاسة داود عمون، يرافقه اميل اده ونجيب عبد الملك وعبدالله الخوري سعاده وعبد الحليم الحجار.
- الوفد الثاني: برئاسة البطريرك الماروني الياس الحويك، يرافقه المطارنة كيرللس مغبغب (البطريرك من بعد) وشكرالله الخوري ومبارك والفغالي والخوري اسطفان الدويهي وغيرهم، ثم لحقهم لاوون الحويك اخو البطريرك.
- الوفد الثالث: برئاسة المطران عبدالله الخوري، يرافقه اميل اده (الذي رافق ايضا الوفد الاول) ويوسف الجميل والامير توفيق ارسلان.

وقد تقدم رجال هذه الوفود من مؤتمر الصلح بالتوكيلات والعرائض والمضابط والرسائل والوثائق، وعقدوا المقالات في الجرائد، والقوا الخطب في الاندية والمحافل، واجروا المقابلات مع كبار المسؤولين الفرنسيين باسطين لهم مطالبهم وملخصها:

- الاعتراف باستقلال لبنان، واعادته الى حدوده التاريخية والطبيعية وارجاع البقاع التي سلختها تركيا عنه.
- معاقبة مقترفي الفظائع واعمال الاعدام والمحرضين عليها مما اتته في لبنان السلطات التركية والالمانية، ثم دفع التعويضات الواجبة، مما هو ضروري لاعادة لبنان الى ما كان عليه من العمران وكثرة السكان، هؤلاء الذين افنى العدد الوافر منهم عمل التجويع الذي دبره لهم العدو قصدا.
- المناداة بالانتداب الفرنسي على لبنان بناء على البند 22 من عهدة جمعية الامم لايلاء لبنان معونتها وارشادها.

فحصل الوفد الثالث على وعود خطية بتحقيق هذه المطالب، وما عتم ان اعلن الجنرال غورو "دولة لبنان الكبير" في حفلة شائقة في قصر الصنوبر في بيروت في الاول من ايلول 1920، وكان خطابه فيها بمثابة وثيقة رسمية لهذا الاعلان التاريخي.

العَلَم الجديد

عام 1919 نظم مأمورو حكومة لبنان في بعبدا مضبطة قدموها الى "جانب مجلس ادارتنا الموقر" التمسوا فيها "الا يحرموا التمتع بمشاهدة رايتنا الوطنية المحبوبة في القريب العاجل". فعقد، في 22 آذار سنة 1920، في مجلس الادارة (بعبدا)، اجتماع شعبي كبير للنظر في امر الراية الوطنية.

قال رشيد نخله في كتابه "المنفى"، صفحة 241: "وقد حضر الحاكم الفرنسي للبنان يومذاك (وهو القومندان لابرو) الاجتماع، وخطبت خطبة ضافية، ورفعت فوق سرايا بعبدا الراية التاريخية الخضراء (نسيجة بيضاء في وسطها ارزة خضراء)، ثم انقلب الامر في آخر الاجتماع ووضع بعضهم هذه الراية اللبنانية المعروفة اليوم (المثلثة الالوان وفي وسطها الارزة)".

وكان في ذلك الوقت، قد اقبلت الى بعبدا وفود كثيفة من اللبنانيين وعلى رأسهم العلَم الذي كانت تريده والذي المع اليه رشيد نخله، وكان قد استصنعه في بيروت السيد فريد لحود من بعبدا، وهو عبارة عن نسيجة بيضاء طولها ثلاثة امتار وعرضها كذلك، وفي وسطها ارزة خضراء، وعلى دائرها تخريج من الخيوط المذهبة، ويتدلى منها الى اليمين واليسار بندان من الحرير المفتول كان يمسك بطرف كل منهما اللبنانيان المعروفان بشجاعتهما غندور زريق ونعيم الخوري وهما متقلدان السلاح، اما حامل العلم فكان السيد شاوول نجيم من سن الفيل. وسارت الجموع الى سرايا بعبدا يتقدمها هذا العلَم، ولما وصلت ركزته على المدخل الرئيسي فوق رخامة الطغراء السلطانية. ولكنه لم يدم هناك طويلا، لأنه نزع بعد ساعات ووضعت محلة الراية المثلثة الالوان وفي وسطها الارزة كما تقدم القول.

وهذه الراية الجديدة هي التي وضعت شكلها جمعية "النهضة اللبنانية" في الولايات المتحدة ورئيسها المغفور له نعوم مكرزل صاحب جريدة "الهدى". فقد اقترح في "خواطره" ان تكون الراية اللبنانية راية فرنسا ذاتها المثلثة الالوان بإضافة الارزة الدائمة الاخضرار اليها وجعلها في قلب مثلثة الالوان. وقد حمل نسخة منها الى باريس بعد الحرب، في اثناء مؤتمر السلم، وعرضها على رئيس الجمهورية الفرنسية ريمون بوانكاريه، فاستحسنها واتخذها لبنان راية له زمنَ الانتداب، واقرها الجنرال غورو في خطبته يوم اعلانه انشاء دولة لبنان الكبير في الاول من ايلول سنة 1920.

اعلان لبنان الكبير

رحل الاتراك عن لبنان، وتسلمت السلطة الفرنسية بعض متروكاتهم ومن جملتها بارك بيروت - وكان شاغرا - فشغله المفوض السامي واصبح مقرا له ولمن جاء بعده من المفوضين السامين منذ 1921.

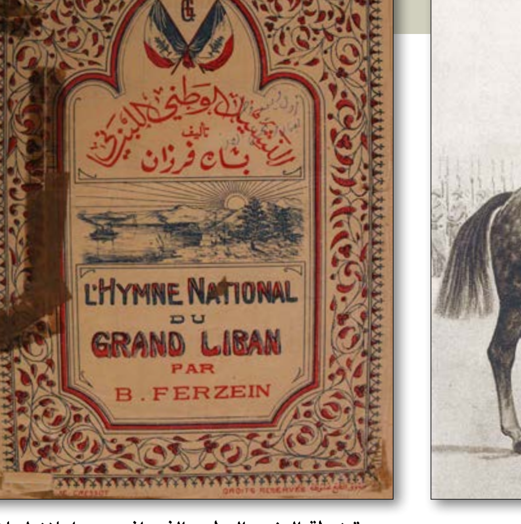
وقد جرت في قصر الصنوبر بعض الاحداث والاحتفالات الشائقة اهمها:

- في اول ايلول 1920 عند الساعة السادسة ◄



بعد الظهر وقف الجنرال هنري غورو امام قصر الصنوبر واعلن باسم فرنسا وامام ممثلي الدول المتحالفة والصديقة والالوف العديدة من اللبنانيين استقلال لبنان بحدوده الجديدة.
وقد اخذ رسم لهذا الاحتفال الكبير، وكان الجنرال جالسا والى يمينه البطريرك الماروني الياس الحويك والى يساره المفتي الشيخ مصطفى نجا والاميرال مورنه (الواقف في الرسم)، والى جانبهم وورائهم كبار اللبنانيين ورجال الدين والقادة والضباط واركان المفوضية وابناء الاسر اللبنانية الكبيرة، ووقف الى جانبهم نجيب ابوصوان حاكم بيروت آنئذ يلقي خطابه باسم حكومة العاصمة.
والقى الجنرال خطابه التاريخي باعلان "دولة لبنان الكبير"، قائلا بصوت عال، ونبرة حازمة: "باسم الجمهورية الفرنسية احيي لبنان الكبير متجلببا بالقوة والعظمة من النهر الكبير الى ابواب فلسطين، الى قمم لبنان الشرقي، ذلك هو لبنان".
الداخل الى دار السفارة الفرنسية في بيروت اليوم يرى لوحة ملونة كبيرة تمثل هذا الاحتفال التاريخي قدمها رئيس الجمهورية اللبنانية الاسبق السيد اميل اده الى المندوبية الفرنسية تذكارا لاعلان لبنان الكبير في الاول من ايلول 1920.
قال الجنرال ويغان في كتابه "سراب وحقيقة": "اعلمني المسيو بوانكاريه ان مجلس الوزراء قرر تعييني مفوضا ساميا في بيروت بدلا من الجنرال غورو الذي شغل هذا المنصب طوال اربع سنوات. وكانت الحكومة قد فكرت اولاً في تعيين شخص مدني خلفا له، ولكن احتمالات الحرب التي كانت لا تزال قائمة مع تركيا حملتها على ان تبقي في


الجنرال هنري غورو.



صورة نوطة النشيد الوطني الذي افتتح به اعلان لبنان الكبير، وهي النسخة الاصلية الوحيدة الموجودة في مكتبة جوزف وادونيس نعمه.

الشرق رجلا عسكريا مفوضا ساميا وقائدا اعلى لجيش الشرق، لذا وقع اختيارها علي بالاتفاق مع المارشال فوش، وكان بوانكاريه ينتظر قبولي هذا العرض لينشر التعيين في الجريدة الرسمية".
في 9 ايار 1923 وصل الجنرال ويغان الى بيروت ونزل في قصر الصنوبر، واتخذ من السرايا الكبيرة مركزا له، وتعرف الى معاونيه، وكبار الموظفين، من فرنسيين ووطنيين وانصرف الى تنظيم الاعمال.
في احد فصول كتابه قال: "ان العمل الذي قام به الجنرال غورو بانشائه لبنان الكبير احيا الولاية القديمة (المتصرفية) جسما وروحا، وبتزويد لبنان الكبير بسكان وموارد جديدة امن له وجودا ممكنا كدولة مستقلة. وهذا التكبير رفع عدد السكان الى نحو 700,000 نسمة، وهو يمثل عددا متوازيا بين المسيحيين والمسلمين. وكان من جراء هذا الانشاء الموافق للحياة الاقتصادية للدولة الجديدة تعديل المشكلة السياسية، اذ لم تبقَ السلطة من نصيب المسيحيين وحدهم، بل صار تنظيمها بحيث تشترك فيها الطائفتان بصورة عادلة تبعد اللجوء الى العنف. فالمسيحيون كانوا يعتبرون ان الوقت قد حان ليصار الى انصافهم باستعمال عملة الاستخفاف والضرر والقسوة التي دفعت لهم زمن السيطرة العثمانية. ولم يكن مفهوم المسلمين طبعا على هذا الشكل، لانهم حرصوا على ان يتمتعوا، انصافا لهم، بكامل الحقوق السياسية التي تضمنها لهم المساواة العددية نفيا للاحقاد والخصومات. وهذا عمل تهدئة كانت الوصاية الفرنسية تتشبث بتحقيقه عبر سلطة حازمة وعطوفة.. وعدالة متساوية بين الجميع. وكان ممثلو فرنسا، في تقيدهم بهذه المبادئ، يعملون في الان نفسه في الاتجاه الذي ترسمه لهم انبل التقاليد والالتزامات، بوصف بلادهم دولة مسيحية كبرى اصبحت في مدى قرن دولة اسلامية مهمة. ولم يكن عبثا، من اجل الحكم على ذلك، ان يصار الى معرفة اوسع لهذين العنصرين اللذين يتألف منهما السكان اللبنانيون. فالمسيحيون منقسمون الى عدد كبير من الطوائف، ونتكلم على اهمها: ثلاث منها متحدة مع روما: الموارنة، والروم الكاثوليك، والسريان الكاثوليك، والروم الارثوذكس يؤلفون طائفة كبيرة العدد. وبعددهم ونفوذهم يشغل الموارنة الصف الاول. وثمة صداقة قديمة تجمع ما بين "الامة" المارونية وفرنسا التي اسرعت الى تلبية طلب اوروبا عام 1860 في حماية الموارنة. وعام 1919 قدم البطريرك الماروني الى باريس ليطلب الى مؤتمر الصلح ان يعهد الى فرنسا بالوصاية على لبنان".

المفوضون السامون

جورج بيكو – الجنرال هنري غورو – الجنرال مكسيم ويغان – الجنرال سراي – المسيو هنري دو جوفنيل – المسيو دو مارتيل – المسيو غبريال بيو – الجنرال دانز – الجنرال كاترو – المسيو هللو – الجنرال بينيه (مندوبون عامون).

حكام لبنان الفرنسيون

في بداية الاحتلال: الكابيتن بوشر – القومندان سيشه – القومندان لابرو – القومندان ترابو – المسيو اوبوار – الجنرال فندنبرغ – المسيو كايلا، بالاضافة الى بعض الجنرالات والضباط الكبار.. رؤساء بعثات تنظيم الدرك منذ سنة 1860 الى يومنا.
كان المفوضون السامون والحكام الفرنسيون على لبنان في حقبة الانتداب، يتصرفون حسب سياسة حكومات فرنسا ان كانت اشتراكية او يمينية. وفي مكتبتنا الالاف من المخطوطات والمستندات والصور والكتب مما يسمح لنا بكتابة تاريخ هذه الحقبة بدقة وموضوعية.

النشيد الوطني اللبناني

وقد عرف لبنان، بعدما اصبح "دولة لبنان الكبير"، اول نشيد وطني شبه رسمي نظمه الاب مارون غصن ووضع لحنه الموسيقي الفنان بشاره فرزان، كما وضع له الاب بولس الاشقر لحنا آخر. وقد انشد في افتتاح واختتام الاحتفال التاريخي باعلان لبنان الكبير في اليوم الاول من ايلول عام 1920 في باحة قصر الصنوبر، مقر المفوضين السامين الفرنسيين الذي اصبح اليوم ملكا للحكومة الفرنسية، وهذا هو المقطع الاول منه:

لبنان لا تَخْشَ العِدى،
كلنا تَقَـلدا
لِيَوْم الوَغى المهَندا
اَخْوانَنا ماتوا فدى
كَيْ تنالَ سؤدداَ
فَعشْ للْمَدى مؤَيدا
يا اَرزةَ على البنودْ
اشرقَتْ.. فحَققَتْ منى الجدودْ
وهمْ على رَجا الوعودْ

وقد حل محل هذا النشيد، عام 1926، عهدَ الانتداب، النشيد الوطني الذي نظمه الشاعر الخالد رشيد نخله ولحنه الموسيقي الكبير وديع صبرا وتبنته الحكومة بعد مسابقة بين الشعراء، واخذت الحانه تتردد في المناسبات الرسمية والوطنية والاجتماعية في لبنان المهجر.

وثيقة للتاريخ صادرة عن رئاسة الحكومة الفرنسية الى البطريرك الياس الحويك راعي الطائفة المارونية

PRÉSIDENCE
DU
CONSEIL

Paris le 10 Novembre 1919.

(10)

Monseigneur,

Les entretiens que depuis votre arrivée à Paris, vous avez eus avec M. le Ministre des Affaires Etrangères et avec moi-même vous auront confirmé dans la conviction que le gouvernement de la République demeurait invariablement attaché aux traditions de mutuel dévoûment établies depuis des siècles entre la France et le Liban.

Ces entretiens vous auront également donné la certitude que les solutions que nous poursuivons à la Conférence de la Paix sont dans leur ensemble, conformes aux aspirations des populations dont vous êtes le Haut Représentant.

Le désir des Libanais de conserver un gouvernement autonome et un statut national indépendant s'accorde parfaitement avec les traditions libérales de la France.

Avec le soutien et l'aide de la France, indépendants de tout autre groupement national, les Libanais sont assurés de conserver leurs traditions, de développer leurs institutions politiques et administratives, de hâter eux-mêmes la mise en valeur complète de leur pays, de voir enfin leurs enfants se préparer dans leurs propres écoles aux fonctions publiques du Liban.

Les limites dans lesquelles s'exercera cette indépendance ne peuvent être arrêtées avant que le mandat sur la Syrie ait été attribué et défini.

Mais la France qui a tout fait en 1860 pour assurer au Liban un territoire plus étendu n'oublie pas que le resserrement des limites actuelles résulte de la longue oppression dont a souffert le Liban.

Désireuse de favoriser le plus possible les relations économiques entre tous les pays confiés à son mandat, elle tiendra également le plus grand compte, dans la délimitation du Liban, de la nécessité de réserver à la « Montagne » des territoires de plaine et l'accès à la mer indispensable à sa prospérité.

Je suis certain, en vous donnant ces assurances, de répondre aux sentiments qui ont déterminé les populations du Liban à demander une fois de plus le mandat de la France pour leur pays et je veux espérer que la solution définitive donnée par la Conférence à la question syrienne, permettra au Gouvernement Français d'accomplir dans la plus large mesure les voeux de ces vaillantes populations.

Veuillez agréer, Monseigneur, les assurances de ma haute considération.

CLÉMENCEAU.

Sa Béatitude
Monseigneur Hoyek
Patriarche Maronite.

وثيقة جورج كليمنصو الى البطريرك الياس الحويك.

"رئاسة مجلس الوزراء
باريس، في 10 تشرين الثاني 1919
غبطة السيد البطريرك،
ان الاجتماعات التي عقدتموها، منذ مجيئكم الى باريس، مع السيد وزير الشؤون الخارجية ومعي شخصيا لا بد ان تكون قد رسخت اقتناعكم بان حكومة الجمهورية ما زالت على نفس التعلق بالتقاليد المتبادَلة من حيث الاندفاع المعهود منذ اجيال بين فرنسا ولبنان.
كما ان هذه الاجتماعات من طبيعتها ان تؤكد لكم ان الحلول التي نتابعها في مؤتمر الصلح هي في مجملها منسجمة مع تطلعات الشعوب التي انتم ممثلها الرفيع القدر.
وامنية اللبنانيين بان تكون اية حكومة خاصة بهم بمعزل عن اية تبعية خارجية، مع نظام وطني مستقل، هذه الامنية تتفق اتفاقا تاما مع التقاليد الحرة لفرنسا.
هذا مع مساندة فرنسا ومساعدتها، من دون تدخل من جانب اية هيئة وطنية اخرى، يكون اللبنانيون قد تأكدوا من احتفاظهم بتقاليدهم من حيث انماء مؤسساتهم السياسية والادارية، وتسريعهم هم ايضا التفعيل التام لبلادهم، ورؤيتهم اخيرا ابناءهم يستعدون في مدارسهم الخاصة، لممارسة الوظائف العامة للبنان.
والحدود التي ضمنها يمارس هذا الاستقلال لا يمكن ايقافها عند حد قبل ان يكون الانتداب على سوريا قد بسط عليها وحدد مداه.
ولكن فرنسا التي عملت كل شيء عام 1860 لتضمن للبنان ارضا اكثر اتساعا لا تنسى نفور اللبنانيين من الحدود الحالية لبلدهم التي نجمت عن الاستبداد الطويل الذي عانى منه لبنان.
وهي، الراغبة في ان تدعم على قدر الامكان العلاقات الاقتصادية ما بين جميع البلدان المعهود بها الى انتدابها، سوف تحرص كذلك على ان تحسب اكبر قدر من الحساب في رسم حدود لبنان، مدركة ان الاحتفاظ لـ "الجبل" بالاراضي السهلية وامكان الانفتاح على البحر هما شرطان لا بد منهما لازدهار هذا البلد.
وانا واثق من انني، باعطائكم هذه التأكيدات، استجيب مرة اخرى مشاعر الاقوام اللبنانية في قرارهم بطلب انتداب فرنسا على بلادهم، واريد ان امل في ان الحل النهائي الممنوح من جانب مؤتمر الصلح للمسالة السورية سوف يتيح للحكومة الفرنسية استكمال استجابتها لاماني اللبنانيين على اوسع مدى، وهم من شعب ناهض كغيره من شعوب المنطقة، وتكرموا، يا غبطة البطريرك، بقبول تأكيدي لارفع مشاعر اعتباري لحضرتكم.
كليمنصو
مرسَل الى غبطة البطريرك الحويك الرئيس الروحي للطائفة المارونية".